البناء
السنة السابعة / السبت / 9 نيسان 2016 / العدد 2050
Seventh year / Saturday / 9 April 2016 / Issue No. 2050

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

مخاض النخبة الأميركية

■ حميدي العبدالله

الانتخابات الأميركية التي جاءت بالرئيس الأميركي الحالي باراك أوباما إلى البيت الأبيض، شكلت في عام 2008 مفاجأة، ونظر إليها بوصفها تحوّلاً نوعياً في المناخ السائد في النخبة الديمقراطية والشعب الأميركي كردّ فعل على ما اقترفته الإدارة الجمهورية في عهد بوش الابن من أخطاء كبّدت الولايات المتحدة خسائر مالية كبيرة وخسائر بشرية عبر تورّطها في حروب لا مبرّر لها، ولا سيما حرب العراق التي يطلق عليها مصطلح «حرب الاختيار» أيّ أنها لم تكن حرب الضرورة كما كانت عليه حال الحرب الأفغانية التي جاءت رداً على هجمات 11 أيلول 2001.

وكثيرون استبعدوا أن يفوز باراك أوباما بولاية ثانية في ضوء أدائه في ولايته الأولى، لكنه حقق فوزاً مريحاً على منافسه الجمهوري، وشكل ذلك مفاجأة لكثيرين من الذين توقع بعضهم ألا يكمل أوباما ولايته وقد يتمّ اغتياله أو تدبّر له فضائح ترغمه على الاستقالة، لكنه أكمل ولايته الأولى وجدّد له الناخبون لولاية ثانية أكملها أيضاً.

عبّر ذلك عن حقيقة توجهات النخبة الديمقراطية وغالبية الناخبين الأميركيين.

لكن كثيرين توقعوا في ضوء سياسات الرئيس أوباما التي وجهت لها انتقادات حادّة، ولا سيما من الجمهوريين والمحافظين الجدد وأنصار استخدام القوة واللجوء إلى الحروب، أن تتجه غالبية النخبة وغالبية الرأي العام باتجاه اليمين، وتحديداً انتخاب رئيس جديد للولايات المتحدة يشكل انقلاباً على مسار إدارة أوباما ويعيد مسارات إدارة بوش الابن، وراهن الكثيرون على أنّ هذا بات أمراً حتمياً، وسيكون رئيس الولايات المتحدة المقبل رئيساً جمهورياً من المتطرفين وأنصار الحرب لاستعادة هيبة الولايات المتحدة، والعودة إلى محاصرة خصوم الولايات المتحدة ولا سيما روسيا وإيران، ولكن جاءت المفاجأة من النخبة الجمهورية التي أدارت الظهر لكلّ المرشحين الذين عقد الرهان عليهم لأداء هذا الدور، وصوّتت غالبية النخبة الجمهورية لصالح مرشح يخشاه الجمهوريون التقليديون أكثر مما يخشاه أيّ طرف آخر، لدرجة أنّ قادة الحزب الجمهوري هدّدوا بمنعه من الترشح باسم الحزب حتى وإنْ فاز في الانتخابات التمهيدية، وهدّد ترامب بأنه سيخوض الانتخابات كمرشح مستقلّ إذا أصرّ قادة الحزب الجمهوري على تجاهل إرادة غالبية أعضائه، وبكلّ تأكيد إذا ما حدث ذلك، فإنّ النتيجة المترتبة عليه إما فوز ترامب كمرشح مستقلّ، وسيكون ذلك السابقة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة، وإما أن يستفيد المرشح الديمقراطي من انقسام الجمهوريين ويفوز بمنصب الرئاسة، وفي مطلق الأحوال فإن النتيجة مختلفة تماماً عما كان يراهن عليه الكثيرون، كما أنها تشكل مفاجأة في سياق الأحداث التقليدية للانتخابات الأميركية.

وجود ترامب وشعبيته الكاسحة في صفوف الجمهوريين ووجود ساندرز كظاهرة في صفوف الديمقراطيين، حتى وإنْ لم يحقق النجاحات التي حققها ترامب، يشير إلى أنّ النخبة الأميركية تعيش في مخاض، قد ينظر إليه الآن كأزمة داخل هذه النخبة، ولكنه أيضاً مؤشر على رغبة في تجاوز التقليد الذي حكم الولايات المتحدة منذ نشأتها.

مبروك للسعودية

- لم يعد ممكناً بعد الحكم الصادر بحق الوزير السابق ميشال سماحة مناقشة القضية بمعيار الحق، فقد ظهر القضاء ضعيفاً هزيلاً بلا مهابة.
- عندما تتواصل حملة التهديد بحلّ المحكمة العسكرية لشهور ويجري تحميل قضاتها في بيان رسمي سعودي مسؤولية وقف هبات السلاح للجيش، فهل نحتاج دليلاً على التسييس.
- صارت حياة القضاة وأمن عائلاتهم ثمناً للأحكام تسدّد في الشارع وعلى ألسنة السياسيين وعلى رأسهم وزير العدل.
- السؤال هل أنّ السعودية التي قالت إنها أوقفت الهبات عن تسليح الجيش لأنّ المحكمة العسكرية التابعة للجيش قد أصدرت حكماً مخففاً بحق ميشال سماحة ستفرج عن هذه الهبات مع الحكم الجديد؟
- إنْ كانت هذه هي الصفقة ربما يرضى سماحة نفسه ويصير في زمن الصفقات ممكناً القول إنها صفقة جيدة، ولو أنها مسيئة ومهينة بقولها انّ أحكامنا صار لها أسعار في السوق السعودية، وأنّ مرجعية القضاء صارت أجنبية يحدّدها سقف الرضا والغضب السعوديين.
- سنعرف أفضل مع معرفة مصير أمير الكبتاغون السعودي الموقوف بجرم مخدرات وننتظر صفقة سلاح بمليارات إضافية ثمناً لتبرئته أو لتسليمه للسعودية.

«التعليق السياسي»

من مآثر رفقائنا بعد الثورة الانقلابية

إعداد: لبيب ناصيف

من كتاب الأمين ديب كردية، «قسمي.. وصيتي» هذه المآثر ننقلها رافعين يدنا زاوية قائمة احتراماً لبطولات رفقائنا ولوقفات العز.

بعد اعتقاله، وهو جريح ينزف، يروي الأمين ديب كردية في الصفحة 63 من كتابه، التالي:

«بدأت رحلة التعذيب الوحشية في غرفة معتمة رطبة حشروا فيها عشرات المعتقلين الذين غصّ بهم المكان مثل علب السردين، رموني على الأرض الباطونية مباشرة وكنت ما زلت أنزف بغزارة من قدمي المكسورة.

«الرفيق المحامي نعمة حمادة[1]، الذي اعتقل ليلة رأس السنة وهو يرتدي معطفاً جديداً اشتراه لتلك المناسبة، خلع معطفه على الفور ولفّ به قدمي النازفة في محاولة لوقف تدفق الدم. أخذني الرفيق قاسم العفي الى الحمامات لغسل الجرح، فشاهدنا صور الزعيم موزعة فوق المراحيض. أنزلني الرفيق قاسم عن ظهره، فاتكأت على الجدار بينما عمد هو الى نزع الصور ووضعها في مكان آخر.

«في الليلة الثانية نقلونا الى مهجع أشدّ عتمة ورطوبة من غرفة الليلة الأولى، بل هو أشبه ما يكون بـ«ياخور للبغال»، وكان عددنا قد وصل الى حوالي 350 شخصاً ولا أحد منا يعرف ما هو مصيره. عنّ على بالي غناء بعض أبيات العتابا، وكان الرفيق علي نزهة[2] منزوياً في آخر المهجع، فلما سمع صوتي شقّ طريقه بصعوبة نحوي وجلس بالقرب مني. في صبيحة اليوم التالي، فتح الباب وأدخلوا علينا شخصاً طويل القامة كان يرغي ويزبد صارخاً: «أنا لبناني حرّ، فلماذا انا هنا؟» بعد إغلاق الباب، ظلّ هذا الشخص يصرخ «انا لبناني حر»، فما كان من الرفيق طالب قندولي الذي لا يتجاوز طوله المتر ونصف إلا أن حمل المكنسة وبدأ بضربه على رأسه... وذلك الشخص الطويل يهرب أمامه لكن من دون جدوى!

«بعد قليل أخذوا ينادون بأسمائنا تمهيداً لنقلنا الى السيارات بعد تقييد كلّ إثنين سوياً. كان نصيب مهدي عاصي[3] مرافقة ذلك «اللبناني الحر»، وعند خروجهما من الباب انهال عليهما الجنود بالضرب. قيّدوني مع الرفيق أديب الأحمدية[4]، ووقف فوق رؤوسنا في الباص العسكري جندي ساحباً أقسام بندقيته.

«أوصلونا الى المدينة الرياضية وتركونا هناك في العراء. لم أكن أستطيع الوقوف، فجلست بالقرب من الجدار. أحد الضباط اللئام أهان رفيقاً لنا من جنوب لبنان من بيت أيوب، فردّ عليه بما يناسب المقام. أمره الضابط بالركوع فصرخ به الرفيق: «فشرت». أطلق الضابط النار بالقرب من الرفيق الذي هجم كالوحش عليه، فاضطر الضابط للهرب من أمامه. وأثارت الحادثة الرفقاء الذين هاجموا الأبواب بعنف، فلجأ الجنود الى إطلاق النار في الهواء ورمي قنابل الغاز المسيّل للدموع. كنت عاجزاً عن الحركة بسبب قدمي المصابة. وقد سمعت شخصاً يقول إنّ السلطات ستفعل بنا كما فعل الألمان مع اليهود. أجبته: «لا بأس، فنحن أصحاب قضية ولن يستطيعوا أن يفعلوا معنا شيئاً... فهل يعقل أن يقتلوننا جميعاً؟ «إلتفتُّ إليه، فإذا به الرفيق حسن نزهة الذي اقترب مني ليتفقدني، وسألني عما إذا كنت قد شاهدت الرفيق علي نزهة، فأخبرته أنني كنت معه أمس في الفياضية، ولم أعرف الى أين نقلوه اليوم.. وفي اليوم التالي نقلونا الى ثكنة المير بشير.

«حتى ذلك الوقت لم يكن جرى معي أيّ تحقيق. كنت قد أعددت قصة للتمويه، مفادها أنني مزارع من البقاع كنت أنقل خضاراً الى السوق عندما وقع إطلاق النار بالقرب من الجسر الواطي «فأصبت برصاصة طائشة في قدمي»، لكن يبدو أنّ قيادة الجيش كشفت بعض التفاصيل عني، فأخضعوني لعمليات تحقيق وتعذيب وحشية على مدى أيام. أخفيت دور كلّ من مديرية حرش تابت ومديرية الزلقا وجل الديب التي تولى الرفقاء منهما قيادة السيارات المشاركة في الإنقلاب. وكذلك غطيتُ الرفقاء الذين كانوا معي على أساس أنني كنت بقيادة الشهيد مصطفى حمزة ولم أكن أعرف أياً من المشاركين معي.

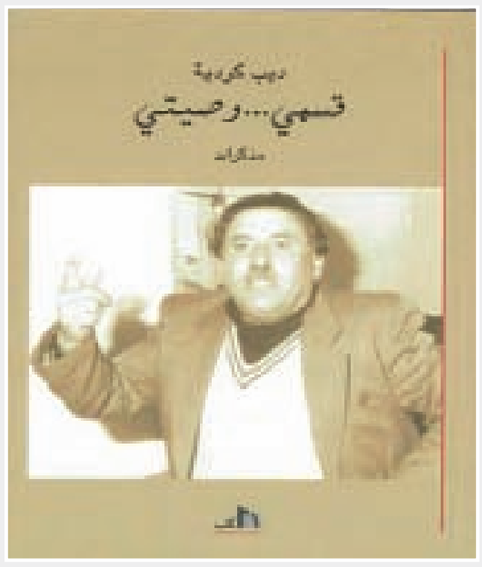

«وظلت هذه الإفادة مقبولة لدى المحققين العسكريين الى ان اعتقل الرفيقان (.....)، طلبوني الى التحقيق الساعة الحادية عشرة ليلاً، فحملني شخصان الى مكتب الشعبة الثانية حيث وجدت رفيقي وهو «يتبرّع» بالمعلومات ويتهم الرفيق محسن نزهة (الامين لاحقاً) بقتل الرقيب في الثكنة. سألني المحققون: «كيف تدّعي أنك لا تعرف الذين كانوا معك، بينما يقول «الرفيق» أنك مسؤول عن كلّ شيء؟» وتبيّن انّ (.....) أعطى كلّ الأسماء للمحققين.

«كان خليل محمود وعلي طي ما زالا في المعتقل بينما خرج أولاد البزال إخلاء سبيل قبل اعتقال أحمد طي. وكانت النتيجة حفلة تعذيب من الطراز الأول استمرت حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

«وهكذا بدأت حفلات التعذيب اليومية، واحدة قبل العشاء وأخرى بعد منتصف الليل. كانوا يعبرون بي الدرج حيث سُجن أخوتي وأولاد عمي، فيشاهدوني في طريق العودة مُدمى ومحمولاً.

«ويوم ألقوا القبض على العميد بشير عبيد، أوقفوا كلّ المعتقلين على الجدار واستعرضوه أمامنا. كنت جالساً على الأرض بسبب الإصابة في قدمي عندما مرّ بي الملازم أول سامي الخطيب الذي توقف قربي وقال: «يا كردية، لماذا لم تؤدّ التحية الى وزير دفاعكم؟» أجبته: «لقد أدّيناها بالفعل... لكن في قلوبنا». وأطلق الخطيب سلسلة من الشتائم المقذعة لي ولأمي ولأختي، فقلت له: «لا بأس، إنّ أمي ولدت رجلاً مستعداً للموت في سبيل بلاده ووطنه أما أمك أنت فقد أنجبت عميلاً مرتبطاً». جنّ جنونه ونادى على أبو أحمد العازوري، لكن الملازم أول شمعون سمع ما يجري فخرج من مكتبه يستفسر من الخطيب الذي روى له الحادثة، فقال شمعون: «لماذا بدأت بشتم امه؟ «اجابه الخطيب: «وهل أنا مثله، أو أن أمي مثل أمه؟» فقال شمعون: «ممنوع على أحد منكم مسّ ديب كردية»، ثم أخذني من يدي وأدخلني مكتبه.

«مضت ستة أيام قبل أن يطلبوني الى التحقيق مرة أخرى عند الساعة الثانية فجراً. امام غرفة المحقق وجدت الرفيقين الشاميين الشقيقين مسلط ابو فخر وعادل ابو فخر[5] جالسين على مقعد. فأجلسوني الى جانبهما. ناداني سامي الخطيب الى الغرفة، وطلب مني الجلوس قائلاً: «من الذي كلفك بمهمتك في الإنقلاب؟» قلت: «قيادة الحزب». سألني: «ألم تتردّد؟» أجبته بالنفي، فتابع يقول: «كم ولداً عندك؟». قلت: «تسعة»، وعلّق بالقول: «من سيربّي هؤلاء بعدك؟» أجبته: «الذي خلّفهم قادر على تأمين تربيتهم». قال: «لقد جنيت عليهم». فقلت: «لا بأس»! طلب مني الخروج والانتظار مع الرفيقين الآخرين في الخارج. بعد دقائق طلبوا منا التحرك باتجاه الباحة حيث كانت تنتظرنا سيارة عسكرية صادف آنذاك وجود نائب أول في الجيش اسمه عباس المصري، كنت قد أدخلته الحزب عندما كنا في ضبيه، أدرك أنّ نقلنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل لا يبشّر بالخير، فاتصل على الفور بقريبه النائب نايف المصري وحذره من أنّ عناصر الشعبة الثانية سينقلون ديب كردية وقوميّين آخرين لإعدامهم. على الفور اتصل نايف المصري بالضابط أنطوان سعد الذي اتصل بدوره بسامي الخطيب... فأنزلوني من السيارة لكنهم اخذوا الرفيقين ابو فخر الى حيث تمّت تصفيتهما. وكان كلّ الذي يجري تحت نظر أخوتي وأولاد عمي الذين شاهدوني أمرّ في الباحة وأصعد الى الجيب، وقد ظلّ أخي خليل متشبّثاً بحديد الزنزانة من دون أن يتمكن أحد من إبعاده الى أن أنزلوني من الجيب وعادوا بي الى السجن.

«في إحدى الليالي طلبوني الى غرفة التحقيق، فوجدت هناك سامي الخطيب وإنعام رعد وبشير عبيد وصبحي ابو عبيد، بينما ابو احمد العازوري وزبانيته يمسكون الرفيق جبران الأطرش[6] ويضربونه من جدار الى آخر ويجرجرونه على الأرض طالبين منه أن يعترف بأنّ ديب كردية هو الذي أطلق النار، وهو يصرّ على الإنكار.

«في اليوم التالي استدعاني المحقق حركي، وعندما وصلنا الى مكتبه طلبوا منا الانتظار في الخارج ريثما ينتهي من لقاء الزوار. أجلسوني على مقعد أمام الباب لأنني كنت لا أزال عاجزاً عن السير لوحدي. في هذه الأثناء مرّ عبدالله سعاده يحيط به أربعة من رجال الشرطة العسكرية، كان جسمه مزرقاً من شدة الضرب والتعذيب. وعلى رغم الألم في قدمي وقفت وقدمت له التحية قائلاً: «تحيا سورية حضرة الرئيس». ولم أكد اكمل عبارتي حتى هجم عليّ رجال الشرطة العسكرية وطرحوني أرضاً وانهالوا عليّ بالضرب. خرج المحقق حركي من مكتبه على وقع هذه الجلبة متسائلاً عما يجري، ولما شاهدني على هذه الحالة خلّصني من بين أيديهم قائلاً: «هل أنتم تحاكمون سوريا أم تحاكمون الإنقلابيين؟» وأدخلني على الفور الى مكتبه.

هوامش:

1. نعمة حمادة: مراجعة النبذة المعمّمة عنه في قسم «من تاريخنا» على موقع شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية .www.ssnp info.
2. علي نزهة: الأمين، المنفذ. عضو المجلس الأعلى. مؤسس العمل الحزبي في النبي عثمان.
3. مهدي عاصي: منح رتبة الأمانة وتولى مسؤوليات حزبية، محلية (في بيروت، في الهرمل وأماكن اخرى) ومركزية. يصحّ ان نكتب نبذة مضيئة عنه.
4. أديب نجم الأحمدية: من شارون. كان له نشاط حزبي جيد. كلّف بمرافقة الأمين إنعام رعد عند خوضه الانتخابات النيابية في الشوف عن المقعد الكاثوليكي في مواجهة سالم عبد النور، والده الرفيق نجم من أوائل الرفقاء المؤسّسين للعمل الحزبي في بلدة شارون.
5. مسلط وعادل ابو فخر: من شهداء الثورة الانقلابية. اشرنا إليهما في اكثر من مناسبة، وسننشر النبذة عنهما عندما نتحدث عن الرفقاء الشهداء الذين سقطوا في الثورة الانقلابية.
6. جبران الاطرش: للاطلاع على النبذة المعمّمة عنه الدخول الى الموقع المشار إليه آنفاً.

الرفيق الشاعر أورخان ميسّر

2

بتاريخ 2014/11/5 كنا عمّمنا عن الرفيق الشاعر أورخان ميسّر، ثم بتاريخ 2014/12/26 نشرنا صورة غلاف مؤلفه «سريال».

مؤخراً وكنت أراجع الجزء الرابع من مجلد «من الجعبة»، فاطّلعتُ على ما أورده الأمين جبران جريج في الصفحة 573 عن الزيارة التي قام بها الى مناطق في الشمال السوري، وفيها عن الرفيق الشاعر أورخان ميسّر ننشرها بالنص الحرفي، لفائدة الإطلاع على الجهد الذي يقوم به رفقاؤنا الأوائل في سبيل انتشار الحزب ونموّه، في ظروف جدّ صعبة كانت تواجهه منذ التأسيس.

«اتفقنا مركزياً أن أقوم بزيارتين الى الداخل، الى حمص وحلب والى الساحل السوري، صافيتا، طرطوس، بانياس فاللاذقية، وذلك لإثبات وجود المركز من جهة ومن جهة أخرى للمحافظة على مستوى المناطق الحزبية المعنوية العالية، فقد تطلب القيادة الحزبية إليها القيام بعمل ما.

قمت بالزيارتين وبقي العميد اياس في المركز[1]. كان مركز الانطلاق اليهما من عكار بواسطة الرفيق توفيق شما التابع لمديرية الحاكور الذي كان يؤمّن السيارة ويرافقني حتى أعبر الحدود اللبنانية – الشامية بسلام ثم يقفل راجعاً. كان السائق «الياس» من حلبا، السائق المفضل لديه، مؤتمن على السرّ مع انه ليس عضواً في الحزب.

«وصلت الى حمص الى منزل الرفيق سري الحلبي. تواً، اتصلت بهيئة المنفذية فوجدتها على أحسن حال وكان للزيارة الأثر الحسن ورتبت طريقة الاتصال. قضيت فيها ثلاثة أيام بينما وصل الرفيق فؤاد شلبي من مسؤولي حلب، لمرافقتي في زيارتي هذه.

«امتطينا سيارة ركاب كبيرة تعمل على خط حمص ـ حلب ولم نستخدم سيارة صغيرة زيادة في التمويه أو إذا شئت في التستر أو التخفي، حسب رأي الرفيق شلبي. ومن هنا بدأت متاعبنا. كانت السيارة مزدحمة بالركاب فما حصلنا إلا على مقعدين ولكن أين؟ كرسيّين صغيرين من القشّ، انزلتا في الفسحة التي بين المقعدين الأصيلين. قبلنا بهذا الوضع ولكني لم أحسب حساباً لعامل الوقت لعدة ساعات على هذين المقعدين «المريحين».

«على الطريق وأثناء الحديث مع الرفيق شلبي علمت أنّ المنفذ العام الرفيق أورخان ميسّر كان في قريته المملوكة «ددخين» يشرف على جني ثمار أشجار الزيتون. ولذلك كان من رأيه النزول عند مفرق «تفتناز» الذي يؤدّي الى طريق إدلب فجسر الشغور. ثم لا بدّ من مرور سيارة على هذه الطريق فتنقلنا الى حيث نقصد، لأنّ السيارات على هذا الخط لا تنقطع. وافقت على هذا الرأي ونزلنا عند هذا المفترق وشاء الله أن ينقطع سيل السيارات المعهود.

«داهمنا الليل ونحن ندرع هذا المفرق ذهاباً وإياباً حتى انقطع الأمل من مرور سيارة، فانكفأنا الى القرية «تفتناز» نأوي اليها. خطر ببالنا أن نبيت في مخفر الدرك مستغلين قرابة الرفيق شلبي لعمّه الكومندان، قائد درك محافظة حلب. أما أنا فقد أصبحت تاجر زيتون من الكورة أدعى سليم موسى. فقصدنا المخفر فوجدناه في مبنى داخل سور عال، له باب مصفح بالحديد مقفل من الداخل، طرقناه كثيراً حتى كلّت أيدينا، طرقناه بقوة ولكن دون جدوى، مما دعانا أن نبدّل وجهة سيرنا فعدنا وبمّمنا وجهنا شطر مضافة القرية، مضافة الآغا، المفروض وجودها في قرية من هذا النوع.

«استهدينا الى المكان ودخلنا اليه فوجدناه عامراً بالسّمار. اتخذنا لنا مقعداً قرب المدخل. حدّثنا جيراننا وتمّ التعارف بيننا. فؤاد شلبي من حلب وسليم موسى من لبنان، تاجر زيت. سرى الإسمان بين الحضور حتى وصلا الى قائد الحلقة الذي كان في تلك الليلة ابن الآغا، لا الآغا نفسه. لدى وصول اسمينا اليه دعانا وقرّبنا منه. سألنا بعض الأسئلة عن الزيت في لبنان وعندما انتهت السهرة، دعانا ـ لياقة ـ إلى قضاء الليلة عنده فقبلنا دعوته ـ طبعاً ـ شاكرين له اريحيته.

«مدّ أحد الفلاحين فراشين على مصطبة المنزل ووضع فوقهما لحافين وانصرف، فارقنا الآغا الفتى متمنياً لنا ليلة سعيدة ولم يعرض علينا أيّ طعام فبتنا ليلتنا على الطوى مع انه أشبعنا عروبة وضيافة عربية بالكلام عن الأمجاد والتاريخ التليد ولم يقم بمزية واحدة من مزايا هذه العروبة المضيافة فأبقانا بلا أكل. ما كفانا الجوع، بل هاجمنا جيش من الزحافات وجد فينا غايته المرجوة، فعمل فينا لسعاً ومصا مما جمّد النعاس في جفوننا. ما صدقنا متى انبلج الفجر حتى انهزمنا دون وداع الآغا وشكره. انهزمنا، حامدين الله على سلامتنا من المعركة غير المتكافئة التي نشبت في ذلك الليل الطويل!

«وصلنا الى المفترق فألفينا دكاناً مفتوحة أبوابه غدوة. اشترينا كعكاً وراحة حلقوم. يا للتجربة المرة! كان الكعك من عمر القرون الغابرة، فما استطاعت أسناننا إليه سبيلاً. انجبرنا أن نعمل على تحطيمه بوسائل غير وسائل الأسنان، اضطرنا اليها الجوع، والجوع كافر. حطمناها وألحقناها بالراحة التي ما كان فيها أية راحة بل كان قد أكل الدهر عليها وشرب أيضاً، فما كانت تنبلع».

« زاد الطين بلة، إقبال دورية مخفر الدرك فتطيّرتُ من هذه السلسلة المتماسكة الحلقات، من البق الساهر المتحفز، الى الآغا الذي أشبعنا أمجاداً ونيّمنا وبطوننا خاوية، الى هذا الدكان العتيق وكعك وراحة حلقوم من قبل الزمن التاريخي الجلي.

«اقترحتُ على الرفيق شلبي أن نتمشى ونبتعد رويداً رويداً تحفظاً واحتياطاً فنتجنّب الأسئلة والأجوبة. تبادلنا التحيات واتجهنا صوب إدلب. كان النهار مشمساً دافئاً. سرنا وسرنا وسرنا. كروم الزيتون حولنا وحوالينا. ارتسمت صورة الكورة الخضراء في مخيلتي.

«كنا نتحدث لنتسلى فنقطع المسافة شيئاً فشيئاً على أمل أن تلحق بنا سيارة. كنا نمشي ونحن نجرّ أقدامنا جراً، لا نوم، لا أكل. ما تحقق أملنا بالسيارة إلا عند ضواحي إدلب. أدركتنا شاحنة زفت. سائق السيارة أرمني. الرفيق شلبي يجيد الأرمنية. والدته أرمنية. تفاهما أرمنياً، جلسنا على المقعد بجانبه.

«أوصلتنا هذه الشاحنة الى «محبمل» حيث تقصد لتفرغ حمولتها. نزلنا وأخذنا قسطاً من الراحة في المخفر حيث أكرمت وفادتنا وبخاصة عندما سرّب الرفيق شلبي الى الدرك أنّ عمه هو الكومندان. استفدنا من هذا التسريب فقدّموا لنا القهوة وأوقفوا لنا أول سيارة ركاب كانت متجهة الى جسر الشغور. شكرناهم وحمدناهم على قهوتهم وعلى تأمين السيارة. لم يقبض منا السائق أجرة الركوب لأنّ الدرك كانوا قد أوصوا بنا خيراً.

«وصلنا الى الجسر ومنها تمشينا الى «ددخين» لنفاجئ الرفيق أورخان ميسّر بحضورنا عند الأصيل وهو عائد من كروم الزيتون. بقيت في ضيافته ثلاثة أيام، كان يريدها أكثر، نستجمّ فيها من وعثاء السفر ومن عناء مغامرتنا التي سردناها على مسامعه بكلّ تفاصيلها ودقائقها. انّ أيام «ددخين» الثلاثة برفقة الرفيق الأديب أورخان ميسّر هي من أيام العمر التي لا تزول ولا تمحى ذكراها.

هوامش

1. تمكن العميدان الأمينان جبران جريج ومأمون اياس من الوصول الى القويطع ـ الكورة، بعد ان كانت السلطات الفرنسية تضيّق الخناق على القوميين الاجتماعيين وتعتقلهم.
استقرّ العميدان في بلدة بتعبورة ومنها راحا يقودان العمل الحزبي. نشرنا عن ذلك في النبذة بعنوان «من مراحل العمل الحزبي في فترة الحرب العالمية الثانية». سنعمد لاحقاً الى نشر نبذة خاصة عن انتقال مركز الحزب في أوائل أربعينات القرن الماضي، الى بتعبورة.

الرفيق نقولا قباني

2

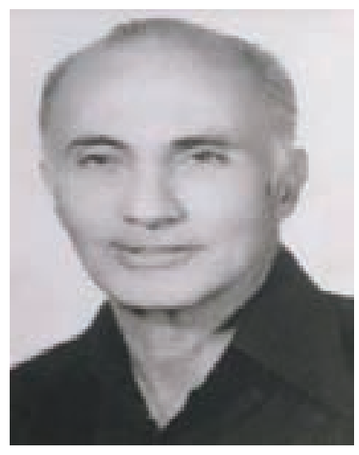

عندما عممت النبذة عن الرفيق نقولا قباني وعقيلته الرفيقة فكتوريا لم أكن اطلعت على ما كان اورده الأمين جبران جريج في الجزء الثالث من مجلده «من الجعبة»...

في الصفحتين (371–372) يقول الأمين جريج: رحم الله نقولا قباني، الرفيق الحبيب والصديق الوفي وأبو الهمات، لقد شاءت الأقدار أن يقترن ذكره مع ذكر بلودان، المصيف السوري الجميل، بمناسبة المؤتمر الفلسطيني فيه. وهذه هي حكاية هذا الاقتران.

كنت قبل وفاته بعدة أيام قد كلّفته بمناسبة سفره الى دمشق بشأن المطبوعات التي كان مسؤولاً عن دائرتها، أن يحاول الحصول لي على صورة او صورتين لبلودان من أجل القطعة التي أكتبها في الجعبة، المجلد الثالث، عن مؤتمر بلودان الفلسطيني الذي انعقد فيها.

توفاه الله وأنا لم أكن قد حصلت على أيّ جواب بصدد الصورة، ولكن المفاجأة وردتني من الرفيق عبدالله ناصح(1) الذي اتى من دمشق ليشترك في المأتم (مأتم الرفيق نقولا)، اذ أخذني جانباً وقال لي: «لقد أوصى لك المرحوم الرفيق قباني على صور لبلودان وكلفني أن ألاحق الموضوع وأحصل عليها وقد وعدني الرفيق ابو حسون(2) أنه سيلبّي الطلب وأني انتظره».

فشكرته وترحّمت على «الحاج».

ومضت عدّة أيام أخرى وإذ بأحد الرفقاء يسلّمني غلافاً فيه الصورتان(3) عن بلودان، وعند سؤالي عن الكلفة، أجابني: « يهديك الرفيق أبو حسون سلامه ويقول لك إنه دفع ثلاثمئة ليرة سورية ولكنه لا يريدها لأنه دفعها زكاة عن روح «الحاج».

هذه هي الحكاية وقد رأيت من واجبي أن أدوّنها مع القطعة عن مؤتمر بلودان الفلسطيني وذلك لإحياء ذكرى الرفيق نقولا قباني، التي لن تزول.

رحم الله نقولا قباني، الرفيق الحبيب والصديق الوفي وأبو الهمّات، والبقاء للأمة.

هوامش

1. عبدالله الناصح: من الرفقاء المناضلين الذين عرفتهم الأشرفية، عضواً ومسؤولاً، وكان طيلة سنوات انتمائه وفياً لقسمه بانياً أسرة قومية اجتماعية ومستمراً على التزامه حتى آخر زفرة من حياته.
2. أبو حسون: لا يذكر الأمين جبران الاسم الكامل للرفيق المذكور.
3. ترد الصورتان في الجزء الثالث من مجلد «من الجعبة».

مسدس الرفيق اسبيرو وديع

من المعروف أنّ الرفيق اسبيرو وديع حداد كان قاد السيارة التي استقلّها الرفيقان البطلان محمد أديب الصلاح وميشال الديك يوم تنفيذ حكم الإعدام برياض الصلح: خذها من يد سعاده.. فعَلَتْ الهتافات والزغردات واشتعلت قمم بلادنا بالغار والنار وابتسم سعاده فخوراً بمن كانوا أوفياء.

وفيما استشهد الرفيق ميشال الديك بُعيْد تنفيذ حكم الإعدام بوقت قصير، ثم الرفيق محمد أديب الصلاح، ممزقاً الضمادات في المستشفى، فنزفت جراحاته... أمكن للرفيق اسبيرو وديع الوصول الى مدينة درعا فدمشق، ومنها غادر بجواز سفر، باسم آخر، الى البرازيل حيث استقرّ، الى أن وافته المنيّة.

فيها التقاه الأمين نواف حردان، اطلع على مسدّسه والتقط له صورة. ألا أنه بسبب الضغوطات التي يتعرّض لها كلّ من يصل حديثاً الى بلد اغترابي، لم ينصرف الأمين نواف الى تدوين سيرة الرفيق اسبيرو، ومروياته عن موضوع تنفيذ حكم الإعدام برياض الصلح. والرفيق اسبيرو بدوره لم يدوّنها ولم يعمد أحد من رفقائنا في البرازيل الى تسجيل معلومات لم يكن يصحّ أن تضيع، وقد ضاعت برحيل الرفيق اسبيرو.

هل هو المسدس الذي أطلق الرصاصات باسم سعاده في السادس عشر من تموز 1951 في عمان؟